



المفارقة في الحديث النبوي

أسماء بنت جود الله المخلفي
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية

الملخص

تمثل المفارقة إحدى أهم التقنيات البلاغية والأدبية في الخطاب، فهي تتجاوز كونها تناقض لفظي ظاهر إلى آلية تحمل دلالات أكثر عمقا؛ فلها دور في كسر أفق التوقع لدى المتلقي، وإثارة فضوله، وإدهاشه، لتثبيت رؤية مخالفة لظنونه، وإقناعه بها.

وتمثل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجًا مثاليًا لدراسة المفارقة، من هنا وقع الاختيار على بعض الأحاديث النبوية المختلفة في موضوعاتها، ودرستها وفق المنهج الوصفي التحليلي، وقد جاء البحث في مقدمة وخاتمة يتوسطهما مبحثان؛ تناول المبحث الأول مفهوم المفارقة، ومحاورها، ووظائفها، وأنواعها، أما المبحث الثاني فخصّص للجانب التطبيقي، توصل البحث إلى عدة نتائج من أهمها: لم يُعرف مصطلح المفارقة في التراث العربي، ولكن وجدت عدة مصطلحات تقترب منه منها: تجاهل العارف – الكناية – التهكم – التورية – تأكيد المدح بما يشبه الذم – تأكيد الذم بما يشبه المدح.

وقد كانت المفارقة إحدى أهم الأدوات التعبيرية والحجاجية التي وظفها النبي صلى الله عليه وسلم، لتحشد من فتور المتلقي، وتثير حماسة المتلقي، وتستفز شعوره، فلم تكن حلية لفظية فقط؛ وإنما كانت أداة حجاجية وتشويقية تهدف إلى تصحيح المعايير السائدة، وإعادة تشكيل المفاهيم المغلوطة، وبناء منظومة القيم من جديد.

الكلمات المفتاحية: المفارقة، المقابلات، الطباق، التضاد، البلاغة النبوية.



Irony and Paradox in the Prophetic Hadith

Asmaa Jodallah Al-Mukhlafi

Arabic Language Department, College of Arts and Humanities, Taibah University, KSA

ABSTRACT

Irony stands as one of the most significant rhetorical and literary techniques in discourse, transcending mere apparent verbal contradiction to become a mechanism carrying deeper connotations. It plays a role in subverting the recipient's horizon of expectation, arousing curiosity, and creating astonishment, all to establish a vision contrary to their assumptions and persuade them of it.

The traditions (Hadiths) of the Prophet Muhammad (peace be upon him) serve as an ideal model for studying irony. Hence, several prophetic traditions varying in their themes were selected and examined using the descriptive-analytical methodology. The research consists of an introduction and a conclusion flanking two main sections: the first addresses the concept of irony, its axes, functions, and types, while the second is dedicated to the practical application. The research reached several conclusions, most notably: while the term "irony" (paradox) was not explicitly known in classical Arabic heritage, several close equivalents existed, such as simulated ignorance, metonymy, sarcasm, paronomasia/ambiguity, affirming praise in a way that resembles blame, and affirming blame in a way that resembles praise.

Irony constituted one of the most vital expressive and argumentative tools employed by the Prophet (peace be upon him) to curb reception fatigue, stir the recipient's enthusiasm, and provoke their emotions. It was not merely a superficial stylistic embellishment, but rather an argumentative and engaging tool aimed at correcting prevailing standards, reshaping flawed concepts, and reconstructing the system of values anew.

Keywords: Paradox, Irony, Prophetic Hadith, Prophetic Rhetoric, Argumentation, Horizon of Expectation, Pragmatics.

**المقدمة:**

تمثل المفارقة إحدى أهم التقنيات البلاغية في الخطاب، فهي ظاهرة أسلوبية تجمع بين الأضداد لتصدّم التوقعات، وتولد المعاني من خلال التقابلات، وبالنظر للحديث النبوي - الذي يعد النموذج الأمثل للبيان العربي، فقد بلغ القمة في الفصاحة والبلاغة- سنجد جمعا من هذه المفارقات، التي كان لها دور في بناء المعنى، وتوصيل المراد، وسيبغى هذا البحث للكشف عن بعضها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في محاولة الكشف عن وظيفة المفارقة في الخطاب النبوي باعتبارها إحدى أدوات الإقناع وذلك من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس:

- كيف وظف الخطاب النبوي المفارقة لتحقيق التشويق والإقناع؟
- ويتفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة:
- ما المفارقة؟ وما أنواعها؟ ووظيفتها؟
- كيف ساهمت المفارقة في جذب انتباه المتلقي وإثارة فضوله؟
- كيف ساهمت المفارقة في إقناع المتلقي؟

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

- استقراء وتحليل نماذج مختلفة للمفارقة في الحديث النبوي الشريف.
- الكشف عن دور المفارقة في جذب انتباه المتلقي وإثارة فضوله المعرفي.
- الكشف عن دور المفارقة في إقناع المتلقي وتفكيك الرؤية الجاهلية وإحلال الرؤية الإسلامية محلها.

مخطط البحث:

يأتي البحث في مقدمة وخاتمة وبينهما مبحثان، كما يلي:

- المقدمة.
- المبحث الأول: الجانب النظري: وفيه مفهوم المفارقة، ومحاورها، ووظائفها، وأنواعها.
- المبحث الثاني: الجانب التطبيقي. ويتضمن تطبيق المفارقة على مجموعة من الأحاديث النبوية.
- الخاتمة.

المبحث الأول: الجانب النظري:**أ- مفهوم المفارقة في اللغة:**

جذرها اللغوي (ف ر ق)، والفَرْقُ خلاف الجمع فَرَقَهُ يَفْرُقُهُ فَرْقاً وفَرَقَهُ وقيل فَرَقَ للصّلاح فَرْقاً وفَرَقَ للإفساد تَفْرِيقاً وانفَرَقَ الشيء وتَفَرَّقَ وانفَرَقَ.

والنَّفَرَقُ والافتراق سواء ومنهم من يجعل النَّفَرَقَ للأبدان والافتراق في الكلام، وفَرَقْتُ بين الشيئين أَفَرَقَ فَرْقاً وفَرَقَاناً وفَرَقْتُ الشيء تَفْرِيقاً وتَفَرَّقَ فأنفَرَقَ وأفَتَرَقَ وتَفَرَّقَ، وفَارَقَ الشيء مُفَارَقَةً وفَرَقاً بآئنه والاسم الفَرْقة وتَفَارَقَ القومُ فَارَقَ بعضهم بعضاً، والفِرْقُ والفِرْقَةُ والفَرِيقُ الطائفة من الشيء المُتَفَرِّق والفِرْقَةُ طائفة من الناس والفَرِيقُ أكثر منه⁽¹⁾.

(1) لسان العرب، ابن منظور (ف ر ق).



ب- أما في الاصطلاح:

فالمفارقة (Irony) شكل لغوي بلاغي يراد به نقيض معناه الظاهر، كأن نقول لمن لم يحسن اللعب في لعبة ما: أنت لاعب ماهر⁽¹⁾.

وعند الرجوع إلى «قاموس أكسفورد» وجدناه يشير إلى أن مصطلح (Irony) مشتق من الكلمة اللاتينية (Ironia) وتعني التخفي تحت مظهر مخادع، والتظاهر بالجهل عن قصد، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1- هو شكل من أشكال القول يكون المعنى المقصود منه عكس المعنى الذي تعبر عنه الكلمات المستخدمة، ويأخذ عادة شكل السخرية حيث تستخدم تعبيرات المدح، وهي تحمل في باطنها الذم والهجاء.

2- نتاج متناقض لأحداث كما في حالة السخرية من منطقية الأمور.

3- التخفي تحت مظهر مخادع أو الادعاء والتظاهر، وتستخدم الكلمة - بشكل خاص - للإشارة إلى ما يسمى بـ «المفارقة السقراطية» من خلال ما عُرف بفلسفة السؤال، وكان سقراط يستخدمها ليدحض حجة خصمه⁽²⁾.

والمفارقة أسلوب تعبير يهدف إلى إيصال المعنى بطريقة إيحائية وشفافة تجعل القارئ يرفض النص بمعناه المباشر ويستبطنه لاستخراج معان متعددة دون أن يمتلك القدرة على ترجيح أحدها على غيره مع ما يمكن أن تتصف به من تنافر أو تباين أو غموض ومع ما تثيره من مشاعر السخرية عند منسئها ومتلقيها على حد سواء⁽³⁾. لم يوجد هذا المصطلح في التراث العربي، ولكن عدم وجوده لا يعني عدم وجود هذا الأسلوب في الأدب العربي؛ فقد وجدت عدة مصطلحات⁽⁴⁾ تقترب من المفارقة منها:

تجاهل العارف: وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه به ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم، أو ليدل على شدة التذلل في الحب، أو لقصد التعجب، أو التقرير، أو التوبيخ، ومن قول زهير بن أبي سلمى:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء⁽⁵⁾

الكناية: وهي أن يعبر المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن، وعن الفاحش بالطاهر، كقوله سبحانه: "كَانَ يَأْكُلُ لَانَ الطَّعَامِ"⁽⁶⁾ كناية عن الحدث⁽⁷⁾.

التهكم: وهو ما كان ظاهره جداً وباطنه هزلاً، وَلَا تَخْلُو أَلْفَاظُ التَّهْكَمِ مِنْ لَفْظَةٍ مِنَ اللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَى نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الدَّمِّ، أَوْ لَفْظَةٍ مِنْ مَعْنَاهَا الْهَجْوُ⁽⁸⁾.

التورية: وهي إطلاق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد منهما عند الإطلاق، مع مصاحبة ذلك بقرينة خفية تدل على المعنى⁽⁹⁾. كقول علي رضي الله عنه في الأشعث بن قيس: "وهذا كان أبوه ينسج الشمال باليمين"، لأن

قيساً كان يحوك الشمال التي واحدتها شملة⁽¹⁰⁾.

(1) المفارقة في شعر أبي العلاء المعري، هيثم محمد جديتوي: 17.

(2) مفهوم المفارقة في النقد الغربي، نجات علي، مجلة نزوى:

<http://www.nizwa.com/%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%81%D8%A7%D8%B1%D9%82%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%82%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D9%8A/>

(3) المفارقة في شعر أبي العلاء المعري: 27.

(4) نفسه: 71- 83.

(5) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي الأصبغ: 135، 136.

(6) سورة المائدة آية 75.

(7) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: 143.

(8) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري: 7/ 179.

(9) البديع عند الحريري، محمد أبو بكر: 299.

(10) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: 268.



تأكيد المدح بما يشبه الذم: أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها؛ كقول النابغة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

ويأتي بطريقة أخرى فيثبت لشيء صفة مدح، ويُعقَّب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: "أنا أفصح العرب؛ بيد أني من قريش" (1).

تأكيد الذم بما يشبه المدح: أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم له، بتقدير دخولها فيها؛ كقولك: فلان لا خير فيه إلا أنه يسئ إلى من أحسن إليه، أو أن يثبت لشيء صفة ذم، ويُعقَّب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له؛ كقوله: فلان فاسق إلا أنه جاهل. (3)

ج- تدور المفارقة في ثلاثة محاور:

المحور الأول: التباين بين الحقيقة الكامنة والمظهر الخارجي أو قول شيء دون قصد حقيقته.

المحور الثاني: رفض المعنى الحرفي لصالح معانٍ آخر غير محدودة، ولكنها مباينة له.

المحور الثالث: إدراك التنافر والغموض والتوفيق بين المتناقضات. (4)

د- وظائف المفارقة:

للمفارقة عدة وظائف أهمها:

- 1- إعادة التوازن إلى الحياة عندما تحمل على محمل الجد المفرط، أو لا تحمل على ما يكفي من الجد.
- 2- تقوية التماسك الدلالي للنص عن طريق استثارة شغف القارئ أو السامع للبحث عن المعنى الحقيقي خلف النص.
- 3- إحداث أبلغ الأثر بأقل الوسائل.
- 4- طريقة لخداع الرقابة. (5)

هـ- أنواع المفارقة:

1- المفارقة اللفظية:

وهي التي يكون فيها المعنى الظاهري واضحاً، ولا يتسم بالغموض وذا قوة دلالية مؤثرة. وكثيراً ما يكون المعنى فيها هجومياً، وخاصة في الهجاء.

وهذه المفارقة يتعمدها المؤلف، ويخطط لها، عبر التضاد بين المظهر والمخبر. (6)

وهناك أنواع مختلفة للمفارقة اللفظية منها: مفارقة التشبيه، مفارقة الاقتباس أو التضمين، التورية، تجاهل العارف، مفارقة الحذقة. (7)

(1) خلاصة حكم المحدث: غريب كله، خلاصة البدر المنير في تخريج أحاديث الفتح الكبير، عمر بن علي ابن الملقن: 2/ 251.

(2) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدي: 4/ 622، 623.

(3) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي: 2/ 2722، 273.

(4) نفسه: 22.

(5) المفارقة في شعر أبي العلاء المعري: 55-69.

(6) جماليات المفارقة النصية، أسامة عبد العزيز جاب الله: ديوان العرب.

http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=13621

(7) آلية المفارقة، أثير الهاشمي، مجلة ثقافتنا، 12، بغداد، 2013، ص: 51.



2- مفارقة الموقف أو السياق:

تعتمد المفارقة هنا على حس المؤلف الذي يرى به الأشياء والأحداث من حوله، وتصويرها بمنظور المفارقة، ويترك للمراقب (الإنسان) تحليلها واستنباط أبعادها الفلسفية والشعرية، وكشف خيوط تعارضها. (1)

ويدخل ضمن مفارقة الموقف: المفارقة الدرامية، المفارقة الرومانسية، المفارقة الفلسفية، مفارقة الورطة، مفارقة القدر. (2)

ومن هنا تختلف المفارقة اللفظية عن السياقية في أن الأولى تعتمد في كشف حقيقتها أولاً على صاحب المفارقة (المؤلف). أما المفارقة السياقية فإنها تعتمد على القارئ في استنباط وكشف التعارض بين المعنى الظاهري والخفي.

في المفارقة اللفظية يكون المعنيان الظاهر والباطن في مواجهة مباشرة على خلاف المفارقة السياقية أو الحدث التي تتطلب خفاء وعمقاً في البحث عن طرفي المفارقة داخل بنية الكلام، وقد تحتاج إلى استنباط وتحليل لمجمل الكلام أو ربطها بسياق خارجي عن الكلام نفسه، وهذا أكثر أنواع المفارقة. (3)

وربما كانت مفارقة الموقف كشيء يتم إدراكه لا تقل قدماً عن المفارقة اللفظية، ولكنهما مختلفتان، فبينما تميل المفارقة اللفظية إلى أن تكون هجائية، تميل مفارقة الموقف إلى أن تكون ذات صفة أكثر كوميديّة أو مأساوية أو فلسفية. (4)

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي

ويتضمن تطبيق المفارقة على مجموعة من الأحاديث النبوية التي تتناول الموضوعات الآتية: المُفلس الحقيقي وحقوق العباد، القوة الحقيقية وضبط النفس، وفاء النبي ﷺ للأمنار ومواساتهم، الفوز بالشهادة وحسن الخاتمة، تحريم الاقتتال بين المسلمين وخطر إراقة الدماء.

وسنقف على بلاغة الحديث النبوي الشريف الذي يجمع بين جمالية التعبير وعمق التأثير، ونشير إلى جمالية المفارقة فيها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مَنْ أَتَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ". (5)

في هذا الحديث يبدأ النبي صلى الله عليه وسلم بطرح السؤال على أصحابه: أتدرون ما المفلس؟، وظف الاستفهام لإثارة انتباه المتلقي، ونلاحظ الجمع بين الأداتين الهمزة وما، فالهمزة للسؤال عن المعرفة أو عدمها، أما (ما) فللسؤال عن المعلومة نفسها.

(1) جماليات المفارقة النصية، أسامة عبد العزيز جاب الله: ديوان العرب:

http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=13621

(2) آلية المفارقة، أثير الهاشمي، مجلة ثقافتنا، ع12، بغداد، 2013، ص: 51.

(3) جماليات المفارقة النصية، أسامة عبد العزيز جاب الله: ديوان العرب:

http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=13621

(4) مفهوم المفارقة في النقد الغربي، نجاة علي، مجلة نزوى:

<http://www.nizwa.com/%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%81%D8%A7%D8%B1%D9%82%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%82%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D9%8A/>

(5) صحيح مسلم (2581).



وبعد أن يذكر الصحابة العرف السائد للمفلس؛ يجيبهم النبي صلى الله عليه وسلم بجملة خبرية مؤكدة بـ (إن)، لأن الخبر سيمثل مفارقة للعرف السائد والمعهود لتعريف المفلس، فاستلزم التوكيد. تظهر هنا المفارقة بين المفهوم المادي (المال والمتاع) إلى المفهوم القيمي الأخروي، كما تظهر المفارقة بين وفرة الطاعات (صلاة، صيام، زكاة) والمصير (الإفلاس ودخول النار). عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"⁽¹⁾. في هذا الحديث ينفي النبي صلى الله عليه وسلم المقياس الشائع للقوة الجسدية، ثم يحددها بالقدر على ضبط النفس؛ فالاندفاع في الغضب دليل عجز وضعف، أما القوة فتتمثل في تمالك النفس وكبح جماحها. ونلاحظ هنا بنية الحديث التي تعتمد على أسلوب القصر بالنفي (نفي معيار القوة الجسدية)، ثم الإثبات باستخدام (إنما).

عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه: "لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسَمَ في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمّن، قال: ما يمنكم أن تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمّن، قال: لو شئتم قلتم: جئنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس واديّاً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شيعار، والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"⁽²⁾.

في هذا الحديث الذي يمثل مواسة النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار عدد من المفارقات؛ تبدأ بمفارقة الموقف إذ وزع النبي صلى الله عليه وسلم الفء على الناس ولم يعط الأنصار شيئاً، ثم خطب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم خطبة ذكر فيها عدداً من المفارقات بين حالهم قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم وبعده، إذ كانوا ضالين فقراء متفرقين، فألف بينهم وأغناهم، وهداهم إلى الصراط المستقيم، فالنبي صلى الله عليه وسلم يذكرهم بنعم الله عليهم من خلال المفارقات قبل قدومه إليهم وبعده.

ولم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بذكر نعم الله عليهم؛ بل ذكر تمييزه لهم، وتفضيل القرب النبوي على الأمور الدنيوية والغنائم المادية، فحين يذهب الناس بالشاة والبعير؛ يذهب الأنصار برسول الله معهم، ولو سار الناس في طريق، وسار الأنصار في طريق آخر فسيهلك النبي صلى الله عليه وسلم طريق الأنصار.

ويأتي بمفارقة أخرى لفصل الأنصار، وذلك أنهم شيعار -وهو الثوب الذي على الجلد- "والناس دثار" وهو الثوب الذي فوق الشيعار، فأراد أنهم أقرب الناس إليه كقرب الشيعار إلى الجسد⁽³⁾.

تبين هذه المفارقات حب النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار وتفضيله لهم وثبات الأنصار ووفائهم. عن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بقي منها؟ قلت: ما بقي منها إلا كتفها. قال: بقي كلها غير كتفها⁽⁴⁾.

تظهر المفارقة هنا في قلب منطق الحيازة الحسي؛ فالكثف التي بقيت للأكل هي في الحقيقة الجزء الفاني بالاستهلاك، أما ما ذهب في الصدقة فهو الجزء الباقي في الآخرة. يظهر هنا اعتماد الحديث على القصر عن طريق النفي والاستثناء (ما بقي منها إلا كتفها)، ثم الاستثناء في الكلام المثبت لتقرير حقيقة الباقي والفاني بين الدنيا والآخرة.

(1) صحيح البخاري (6114)، صحيح مسلم (2609).

(2) صحيح البخاري 4330، صحيح مسلم 1061.

(3) الدرر السنية: <https://dorar.net/hadith/sharh/150505>.

(4) سنن الترمذي (2470).



عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: لَمَّا طَعِنَ حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ -وكان خاله- يَوْمَ بئرِ مَعُونَةَ، قال بِالذَّمِّ هَكَذَا، فَضَحَّه على وجهه ورأسه، ثُمَّ قال: فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ⁽¹⁾.

في هذا الحديث تظهر مفارقة الموقف؛ فالصحابي الجليل حرام بن ملحان رضي الله عنه قد طعن، فظاهر الموقف أنه قد هزم وخسر، ولكن الحقيقة أنه قد ربح وفاز بالشهادة.

في هذه المفارقة مخالفة أفق التوقع لدى القارئ والمشاهد؛ فالطعنة التي يراد منها إنهاء حياة الرجل والقضاء عليه، صارت في نظره بوابة الفوز والشهادة؛ مما حول المشهد المأساوي إلى مشهد احتفالي.

عن أبي بكر رضي الله عنه سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بَسِيفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بِالِ الْمَقْتُولِ؟ قال: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا على قَتْلِ صاحبه⁽²⁾.

هنا تظهر المفارقة في مساواة الضحية (المقتول) بالجاني (القاتل) في الجزاء، وهذا ما يتناقض ظاهرياً مع العدالة الدنيوية التي ترى في المقتول ضحية، يجب أن يؤخذ بحقه عن طريق القصاص أو الدية. ويمثل اعتراض الصحابي بالسؤال "فما بال المقتول؟" التساؤل الطبيعي الذي سيطره السامع، ليجيب النبي صلى الله عليه وسلم أن سبب ذلك الاتفاق بينهما في النية، وأن الآخر منعه عن قتل صاحبه إما سبق الزمني أو القدرة، وليست الفضيلة أو البراءة، فحرصه ونيته العازمة على القتل سوت بينهما في المصير.

الخاتمة:

مثلت المفارقة إحدى أهم التقنيات البلاغية والأدبية في الخطاب، وقد تجاوزت كونها تناقض لفظي ظاهر إلى آلية تحمل دلالات أكثر عمقا؛ وقد جاءت في أحاديث مختلفة للنبي صلى الله عليه وسلم في موضوعات مختلفة، لتبين معان عميقة أبرزها: المُفْلِس الحقيقي وحقوق العباد، القوة الحقيقية وضبط النفس، وفاء النبي ﷺ للأنصار ومواساتهم، الفوز بالشهادة وحسن الخاتمة، تحريم الاقتتال بين المسلمين وخطر إراقة الدماء.

وقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- أن مصطلح المفارقة لم يكن معروفا في التراث العربي، ولكن وجدت عدة مصطلحات تقترب من المفارقة منها: تجاهل العارف – الكناية – التهكم – التورية – تأكيد المدح بما يشبه الذم – تأكيد الذم بما يشبه المدح.
- كانت المفارقة إحدى أهم الأدوات التعبيرية والحجاجية التي وظفها النبي صلى الله عليه وسلم، لتحشد من فتور التلقي، وتثير حماسة المتلقي، وتستفز شعوره.
- لم تكن المفارقة في الحديث النبوي حلية لفظية فقط؛ وإنما كانت أداة حجاجية وتشويقية تهدف إلى تصحيح المعايير السائدة، وإعادة تشكيل المفاهيم المغلوطة، وبناء منظومة القيم من جديد.

المراجع

1. آية المفارقة، أنير الهاشمي، مجلة ثقافتنا، ع12، بغداد، 2013.
2. البديع عند الحريري، محمد بيلو أحمد أبو بكر، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1، 1400 هـ.
3. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط17، 1426 هـ - 2005 م.
4. تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي الأصبع، تحقيق: حنفي محمد شرف، إحياء التراث الإسلامي.

(1) أخرجه البخاري (4092)، ومسلم (677).

(2) صحيح البخاري (6875).



مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانية والاجتماع

Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences

Website: www.jalhss.com Email: editor@jalhss.com

Volume (133) October 2026 | العدد (133) أكتوبر 2026



5. جماليات المفارقة النصية، أسامة عبد العزيز جاب الله: ديوان العرب: http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=13621
6. خلاصة البدر المنير في تخريج أحاديث الفتح الكبير، عمر بن علي ابن الملقن، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1414هـ.
7. الدرر السنية: <https://dorar.net/hadith/sharh/150505>.
8. سنن الترمذي، ت: أحمد بن محمد شاكر الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، دت.
9. صحيح البخاري، ت: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة/ ط1، 1400هـ.
10. صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1374هـ.
11. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1423هـ - 2003م.
12. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
13. المفارقة في شعر أبي العلاء المعري، هيثم محمد جديتاوي، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، 2018.
14. مفهوم المفارقة في النقد الغربي، نجاة علي، مجلة نزوى: <http://www.nizwa.com/%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%81%D8%A7%D8%B1%D9%82%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%82%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D9%8A>
15. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ.